لقاء بعنوان

كيف تتدبر القرآن

الشيخ / يوسف السبل



بسم الله، والحمد لله، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

✍أيها الإخوة الكِرام والأخوات الفاضلات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكُم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم، هذا اليوم هو يوم الخميس الموافق للثاني عشر من شهر الله المحرم من عام ستةٍ وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة.

مجلسنا المبارك فيما يتعلّق **بالقرآن الكريم**، وهذا اللقاء مخصص في **كيفية تَدبُر القرآن، كيف يتدبر قارئ القرآن كيف يتدبر القرآن؟** ولا شكَ أنّ القرآن نزل لهدف ولغاية -لا يخفى على الجميع-، وكتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- القرآن العظيم جاء رسالة من الله للبشرية، فلا بُد أنْ نفهم هذه الرسائل الَّتِي تصلُنا من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا بُد أنْ نفهمها.

ولذلك النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طبَق هذا الأمر؛ وهو تدبر القرآن، وطبَقهُ أصحابهُ والسلف؛ ولذلك كان النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا قرأ القرآن يُسمَع لهُ أزيزٌ كأزيزِ المِرجَلِ.

➢**الأزيز**: الصوت في الصدر يُسمَع له في صدرهِ أزيز؛ كأزيزِ المِرجَلِ، **والمِرجَل**: القِدر إذا اشتدت النار تحتهُ وبدأ يغلي بدأ يحدِث أصواتًا، فهذا يدلُ على التدبُر، وقبل تطبيق الصحابة -رَضِّيَ اللهُ عَنْهُم- تطبيق النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتطبيق الصحابة للتدبر وفهم القرآن بتدبرهِ، قبل ذلك أنّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أمرنا في كتابه في أربعة مواضع بالتدبر، ومَن تأمل هذه الآيات وهذه المواضع الأربع عرف أنّ القرآن جاء لغرض التدبر.

❁ **يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في سورة النساء: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾**[النساء:٨٢]، هذه الآية هي جاءت بأسلوب الاستفهام، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ﴾ عندنا حتى نتأمل هذه الآية ونتدبرها:

همزة همزة إنكار وتعجب، أي: ينكِر ويتعجَب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على مَن يقرأ القرآن ولا يتدبرهُ، أو مَن يستمع للقرآن ولا يتدبرهُ، **لماذا لا يتدبرون القرآن؟** والهمزة -مثلما ذكرنا- همزة تفيد الإنكار والتعجُب، والفاء عاطفة، واللام نافية، أي: كأنّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يقول لماذا لا يتدبرون القرآن؟! ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ﴾، ما الَّذِي منعهُم من التدبر؟! لماذا لا يتدبرون القرآن؟!

ثم قال التدبُر في القرآن مجالهُ مفتوح، وفيهِ آيات تلفت الأنظار إلى التدبر والتأمل والوقوف عندها؛ ولذلك قال: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾، شَوش عليهم، ولم يفهموا التدبر والتأمل، لماذا؟ لأنهُ لو كان من عند غير الله من البشر لوُجِد فيه الاختلاف، وعدم التناسق، وعدم التوافق، لكن كتاب الله لا يمكن أنْ يكون فيه اختلاف ولا اضطراب ولا تعارض، ولا يحدث فيهِ مثل هذا الأمر، هذا هو المقصود.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾، لكن لما كان من عند الله كان داعيةً إلى التدبر، وكان فاتحًا بابًا للتدبر، هذه الآية الأولى.

❁ **الآية الثانية:** في سورة محمد: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد:٢٤]، نفس الترتيب ونفس المعنى ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾؛ هذا إنكار وتعجُب، **لماذا لا يتدبرون القرآن؟** لماذا؟ ثم النتيجة قال بعدها: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، (أم) بمعنى: بل، و(بل) تفيد الإضراب، كأنه يقول: أفلا يتدبرون القرآن؟ ثم قال: لا، لا يتدبرون، لماذا؟ لأنهُم لم يفتحوا قلوبهم، لم يفتحوا، لو فتحوا قلوبهم لتدبروا القرآن.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، **هل أُغلقَت القلوب؟** هل أُغلقَت؟ لماذا أُغلقَت؟ ما الَّذِي أغلقها؟ لماذا أنتم لا تتدبرون القرآن؟! لماذا أغلقتُم قلوبكم؟! هذا معنى الآية.

❁ **الآية الثالثة:** آية صريحة بالأمر، وفيها الثناء على القرآن الكريم، والإشارة والأمر ودفع النّاس إلى التدبُر، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾[ص:٢٩]، القرآن كتاب أنزلهُ الله، قال: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، **إذًا** هو مصدرهُ من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو الَّذِي أنزله، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، إليك يا محمد لم يكن منك، ولم تفتريه، ولم تأخذهُ من أحد من البشر، إنما نزل به الروح الأمين من ربك، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[النمل:٦].

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾، مبارك: كثير الخيرات، كثير المنافع، إذا كان الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يصف كتابهُ بأنه مبارك، وأنّ منافعهُ كثيرة، وأنّ آثارهُ طيبة، وخيرهُ كثير، ففيهِ مدح لكتابهِ مدح، وفيهِ أيضًا دفع للناس إلى أن يتمسكوا بهذا القرآن؛ لِمَّا فيه من البركة العظيمة.

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ قال: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[ص:٢٩]، **إذًا الغاية والهدف والمقصد من نزول القرآن:** أنْ يُتدبَر، وأنْ يُفهَم، وأنْ يُعرَف المقاصد منه والغايات، هذا هو، هذا التدبر، ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾.

ثم قال بعدها: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩].

☼ **الأوَل:** ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ الجميع، ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾.

☼ **ثم قال بعدها:** ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾، ليتذكَّر أوْلو الألباب أي: أصحاب العقول النيرة وأصحاب العلم وأصحاب الفهم ينبغي لهم أنْ يتذكروا وينتفعوا، والقرآن تذكير لهم وذكرى لهم، فهم يتدبرون ويتذكّرون وينتفعون بهذا القرآن.

❁ **الآية الرابعة:** قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في سورة المؤمنون: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾[المؤمنون:٦٨]، وفيها أيضًا نفس الكلام الهمزة الإنكار والتعجب، والفاء عاطفة، وهنا جاءت (لم) النافية، (لم) الَّتِي للجزم والنفي، وهي أقوى من (لا)، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا﴾ وجاء هنا (يَدَّبَّرُوا) مدغمة، الأصل: يتدبروا، فأدغمت التاء بالدال، فأصبحت الدال مشددة ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا﴾ (يَدَّبَّرُوا) ويتدبروا المعنى متقارب جدًّا.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾؛ أي: هذا القول الَّذِي جاءهُم وهو القرآن الكريم وكلام الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لماذا لم يتدبروهُ؟ لماذا؟ حتى ينتفعوا بالقرآن الكريم، وحتى يكون فاتحًا وهدايةً لهم، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾.

هذه الآيات الأربع الَّتِي جاءت في القرآن تأمر بالتدبُر بهذه الأساليب الَّتِي سمعناها.

❁المحور الأول: الآيات الَّتِي حثت على التدبُر.

❁المحور الثاني: الأحاديث والآثار الَّتِي تدلُ على التدبُر:

واقع النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحياتهُ كانت كلها تدبرًا وفهمًا للقرآن للكريم، وتطبيقاتهُ في صلاتهِ وفي قراءته وفي بكائهِ وفي تأثره، وجاء في حديث ابن مسعود أنه قال: «**اقرأْ عليَّ القرآنَ قال: كيفَ أقرؤهُ عليك وقد أُنزِل عليك؟ قال: إنّي أحب أنْ أسمعهُ من غيري**»، إلى أن قرأ أول سورة النساء حتى وصله قوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا**﴾[النساء:٤١]، قال: «**فنظرت إلى النبيّ لما قال: حسبك، قال: فنظرت فإذا عيناه تذرفانِ**»، هذا التدبر، وهذا الفهم، ولما ذرفت عيناه هذا أثر التدبر والفهم.

النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أيضًا مرّ بآية وقف عندها يرددها حتى الصبح، وهي قول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في سورة المائدة: ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[المائدة:١١٨]، وقف النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يرددها حتى أصبح الصبح.

وأيضًا سمعنا الحديث السابق «**أنهُ كان إذا قرأ القرآن كان يُسمَع لهُ أزيز كأزيز المِرجَل**»؛ من شدة البكاء، وهذا التأثر نتيجة التدبر.

كذلك أيضًا النبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كما في حديث حذيفة «**كان إذا مرّ بآية فيها رحمة سأل، وإذا مرّ بآيةٍ فيها عذاب تعوذ، وإذا مرّ بآيةٍ فيها تسبيح سبَح**»، وهكذا، وهذا يدلّ على أنهُ يقف عند الآيات ويتأملها ويتدبرها، وأحاديث كثيرة تدلّ على تأثر النبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وتدبرهُ للقرآن.

وكذلك أصحابهُ –رَضِيَّ اللهُ عَنْهُم– كانوا يتدبرون، وكانوا يبكون مع القرآن، فابن مسعود – رَضِيَّ اللهُ عَنْهُ– كان يقول في القرآن: «**اقرأوا القرآن ولا تهذوهُ هذَّ الشِّعر، ولا تنثروه نثر الدقَل**» وهو التمر الرديء «**ولكن وحَرِكوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة، قِفوا عند عجائبه، حركوا به القلوب**».

فابن مسعود يأمر بالتدبُر والتفكُر وعدم الاستعجال وتحريك القلوب، **هذا يدل على ماذا؟** يدلّ على الأمر بالتدبر والتفكُر وعدم التعَجُل.

وعمر –رَضِيَّ اللهُ عَنْهُ– قرأ مرةً سورة المُدثِر، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**﴾[المدثر:٨]، سقط مغشيًا عليهِ، حتى ذكر السيوطي –رحمه الله– الَّذِين تأثروا وماتوا بالقرآن، ممَن قرأوا القرآن من السلف أو قُرِئ عليهم القرآن؛ فماتوا سقطوا وصُعِقوا وماتوا، ومنهم مَن تأثر ونُقِل إلى بيته ومكث أيامًا، فهذا يدلّ على أنّ السلف كانوا يتدبرون ويتأملون.

❁المحور الثالث:

الآن فهمنا وعرفنا حث القرآن على التدبُر، وفهمنا وعرفنا أثر أو أيضًا تدبر السلف من العهد النبوي عهد النبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وعهد صحابتهِ مَن جاء بعدهم من السلف كانوا يتدبرون القرآن ويتأملونه.

نحن نريد أنْ نصل إلى هذه المرتبة، ونحن نريد جميعًا أنْ نُطبِق ما طبقوهُ، **وكيف وصلوا إلى هذه المرحلة؟** هذه المرحلة ليست من المراحل الَّتِي يصل إليها أي إنسان، هي مرحلة تحتاج منّا إلى عدة أسباب وأمور حتى نصل إلى هذه المرحلة **وهي مرحلة التدبُر الَّتِي أمر الله بها.**

بواقع الناس أو كثير من الناس يقرؤون القرآن الكريم ويمرون على آيات كثيرة ولا يقفون عندها، واقع الناس القراءة السطحية السريعة، لكن نحن نريد أن نصل إلى هذه الدرجة (**درجة التدبر**)، **كيف نصل إليها؟**

❁ أولًا: ما معنى التدبُر؟

➢**التدبُر في اللغة**: مأخوذ من الدُبر وهو نهاية الشيء، فالقرآن ذكر كلمة (الدُبر والأدبار)، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**﴾[الأنفال:١٦]، دُبر الشيء: نهايته وآخره، و ﴿**لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ**﴾[الفتح:٢٢]، ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**﴾، في آيات تشير إلى كلمة أو لفظ الدُبر، وأنهُ يُجمَع على أدبار، ﴿**وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾[الطور:٤٩]؛ أي: نهايتها وذهابها؛ فدُبر الشيء: نهايته.

فالقرآن يُقرأ وتقرأهُ بلسانك، وتسمعهُ بسمعك، وتعيهِ بقلبك، لما تعيه بقلبك هذا هو التدبُر، فآخر مرحلة يمر بها قارئ القرآن هي مرحلة التدبُر؛ لأنّ التدبر هو نهاية الشيء.

إذا عرفنا هذا، إذا عرفنا التدبر، **هنا سؤال: أيهما أسبق القراءة أو التدبُر؟**

نقول الجواب: الأسبق القراءة، أنت تتلو القرآن وتقرأهُ، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة التدبُر.

السؤال الثاني: أيهما أسبق التفسير تفسير الآية وفهم المعنى أو التدبر؟

نقول: لا، فهم المعنى يسبق التدبُر؛ لأنه لا يمكن أن تتدبَر وأنت لم تعرف المعنى، لا بُد أنْ يكون المعنى معنى الآية فهم المعنى سابقًا على التدبُر.

إذا عرفنا هذا، وعرفنا معنى التدبُر وهو نهاية الشيء، **إذًا يكون التدبُر هو الأخير،** آخر المراحل، مرحلة القراءة قراءة القرآن لا بُد أن يكون القارئ يقرأ قراءةً صحيحة، إذا كان يقرأ قراءةً خاطئة ستترتب عليها أخطاء كثيرة، ولن يصل إلى درجة التدبُر.

فمن أهم أسباب -وقبل أن ندخل لأنّ هناك أسباب كثيرة، **لكن المراحل الَّتِي يمر بها المتدبر:**

❁ لا بد في **المرحلة الأولى**: أنْ يقرأ قراءةً سليمة.

❁ فإذا قرأ قراءةً سليمة بعدها تأتي **المرحلة الثانية** هي تفسير الآيات، فهم المعنى؛ لأنّ الألفاظ الَّتِي في المصحف الألفاظ والحروف والكلمات والآيات هي وسيلة لغاية، **ما هي الغاية؟** الغاية التدبُر والتطبيق العمل، تتدبر وتعمل، فهذه الحروف كلها حروف تصل إلى مرحلة، أنك تصل إلى مرحلة ماذا؟ مرحلة الفهم التدبُر، ثم بعد ذلك تصل إلى مرحلة بعد التدبر العمل بالقرآن الكريم.

فهذه هي المراحل الَّتِي لا بُد أنْ يمر بها المتدبِر للقرآن الكريم.

❁هنا المتدبِر للقرآن –مثلما ذكرنا– لا بُد أنْ يسبق التدبُر هذه الأمور:

١– حسن التلاوة.

٢– حسن الفهم.

٣– ثم تأتي مرحلة التدبُر.

إذا لم يُحسِن التلاوة ولم يُحسِن الفهم؛ فإنهُ لن يستطيع أن يتدبَر، والحقيقة أقف عند هذه النقطة **وقفة ضرورية** وهي ما نسمع من كثير ممَن يجلسون في بعض المجالس أو في بعض المنتديات واللقاءات وبعض المجتمعات الَّتِي يجتمعون فيها، الآن أنا أريد أنْ أقف عند هذه النقطة المهمة الَّتِي قد تحصل من كثير ما أقول قليل، كثير ممَن لهم اجتماعات، سواءً في مجالس أو لقاءات عن بعد أو نحوها يأتون يقولون: نريد أن نتدبر، نريد أن نجلس مجلس تدبر وتأمل وتفكُر في هذه الآية، ثم يأتون إلى آية من القرآن الكريم أو آيات أو سورة من قصار السور، ويقولون: نجلس نتدبر القرآن.

هذا المنهج إذا لم يكن مبنيًا على حسن القراءة والتلاوة، ولم يكن مبنيًا على فهم الآية والقراءة في تفسير أهل العلم واستيعاب المعنى، إذا لم يكن مسبوقًا بهذين الأمرين؛ فإنّ هذا المنهج الَّذِي يمشون فيه منهج خاطئ، ولا يجوز لهم العبث بالقرآن الكريم، أنا أسميه الحقيقة هذا نوع من العبث، لما يأتي أشخاص ويأخذون آية من كتاب الله أو سورة من قصار السور أو غيرها، ثم يأتون يتدبرون ويقولون: المعنى كذا، وهذه تدل على كذا، وهذه قيل إنّ معناها كذا، وهذه تدلّ، فيبدؤون يتدبرون وهم لا يفهمون معاني القرآن ولم يعرفوا موقف المفسرين من بعض الآيات.

الآيات لها سياقات، ولها أسباب نزول، ولها دلالات، ولها لغة، فإذا أنت لم تستوعب هذه الأمور من كتب التفسير، ولم تستوعب المعنى، فإنّ هذا التدبر وهذا المنهج هو خاطئ.

لنقول رسالة لكل مَن يريد أنْ يتدبَر القرآن، أو يعيش مع الآيات القرآنية، ويستخرج ما فيها من كنوز، ولو كان شخصًا واحدًا أو مجموعة من الأشخاص: لا بُد أنْ يُحسِن القراءة، ويفهم معاني الآيات، ويقرأ في كتب التفسير، فبعد ذلك يصل إلى درجة التدبُر، ويجوز لهُ أنْ يتدبَر القرآن كما أمرهُ الله.

الله أمرنا قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾، وقال: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾، **لكن متى؟** هذا هو الكلام، هنا النقطة المهمة.

أنا أقول لكم باختصار ونحاول أنْ نُلخِص الأمور الَّتِي تساعد على تدبر القرآن:

ما هي الأمور؟ وما هي الأسباب الَّتِي تعين على تدبر القرآن؟

❁ **أولًا: أول أمر: هو استحضار عظمة هذا القرآن،** وأنهُ كلام الله، استحضار هذا أول شيء أسباب تدبر استحضار عظمة القرآن الكريم، وجلالة القرآن، وأنهُ كلام رب العالمين، فإذا أنت استحضرت عظمة هذا القرآن وجلال هذا القرآن ومكانته الكبيرة، وأنهُ كلام رب العالمين الَّذِي يقول الحقّ وكلامهُ حق، إذا استحضرنا هذا الأمر كان هذا من الأسباب المُعينة على التدبُر، هذا أمر مهم جدًّا.

❁ **الأمر الثاني: أنّ من أسباب حرمان التدبُر هو كثرة الذنوب والمعاصي،** وأنّ من أقوى أسباب التدبُر كثرة الاستغفار، والتوبة النصوح إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، الإنسان يُحرم تدبُر القرآن ويُحرم فهم القرآن، ويُحرم تلاوة القرآن والعيش مع القرآن؛ لأنهُ قد لطخ نفسهُ بالذنوب والمعاصي؛ لأنهُ أكثر.

فالذنوب والمعاصي تبعدك تبعدك عن كلام الله، هذا كلام الله ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة:٧٩]، القرآن لا يستطيع أنْ يمسهُ أي إنسان إلا متطهرًا، إذا كان مسّهُ باليد مطلوب منك أنْ تتطهر، وأنت ممنوع لو أنّ عليك حدث أكبر أنْ تقرأ القرآن، إذا كنت تُمنَع من هذا كله فمن باب أوْلى أنْ تُحرَم من التدبُر؛ بسبب هذه الذنوب والمعاصي الَّتِي تمنع.

تطهير يدك وتطهير أعضاءك بالماء، قبل ذلك أن تُطهِر قلبك وتُطهِر نفسك من الذنوب والمعاصي بالاستغفار بالتوبة، فكم وكم ممَن حُرِم أشياء كثيرة من الطاعات والعبادات لسبب الذنوب!

❁ **من أسباب التدبُر:** تحسين التلاوة، والله أمرنا بالتحسين والترتيب، قال: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل:٤]، والنبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «حَسِنوا أصواتكُم بالقرآن»، فالتغني وتحسين الصوت وتجميلهُ هذا يعين على التدبُر، ويعين على الفهم، أمّا القراءة الَّتِي ليس فيها ترتيل ولا تحسين ولا فهم ولا القراءة الطيبة، ما تشعر بالتدبر.

ولذلك كثير منّا إذا سَمِع قارئًا يقرأ القرآن قراءتهُ جيدة وممتازة، فإذا سمعت مَن يقرأ القرآن قراءةً طيبة وترتيلًا حسنًا فإنّ هذا يجعلك تقف، الآيات تستوقفك، تجعلك تفهم وتستوعب، فهذه من أسباب التدبُر تحسين التلاوة، وهذه قد ذكرناها لكم سابقًا أنّ الترتيل سببٌ للتدبُر والتفهم، وترتيلك وتحسينك للقراءة هذا توقير واحترام للقرآن الكريم، وطريقٌ إلى أنْ يتأثر القلب بهذا.

❁ **أيضًا من أسباب تدبُر القرآن:** فهم المعاني وتفسير المعاني، فلا بُد أنْ تفهم ماذا تقرأ، إذا كنت تقرأ حتى لو كانت قراءتك قراءةً حسنة وقراءةً مجودة ومرتلة وأنت لم تفهم، لن تستطيع إلى التدبُر، تمر عليك ألفاظ ما تعرفها، فمن أسباب التدبُر فهم المعاني، وترجع إلى كتب المعاني وكتب الغريب وكتب التفسير و[لسان العرب] حتى تفهم، والقرآن -كما لا يخفى- فهمهُ أحيانًا بسياقات القرآن، أسباب النزول، فهم واقع النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في زمانه، فهم موقف المفسرين، الألفاظ الَّتِي اختلفوا فيها وفي دلالاتها.

ففهم الآية واستيعاب معناها من كتب التفسير هذه من أقوى أسباب التدبُر، وهذه هي أهم نقطة وأنا أركز عليها كثيرًا، وليس لأي إنسان أنْ يتدبَر وهو لا يفهم، إذا استوعبت معنى الآية وقرأت فيها فهمتها.

❁ **أيضًا من أسباب التدبُر:** هو القراءة بتأمل وتدبر واستحضار، وأنْ يكون المكان مناسبًا، خاليًا من الإزعاج، وصفاء الذهن، البُعد عن النهوم، ترك الهموم خلفك، وإقبالك بقلبك وقالبك إلى القرآن في صفاء الذهن، وهذا أكثر ما يكون في صلاة الليل وقيام الليل.

قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ**﴾[المزمل:٦]؛ أي: قيام الليل ﴿**هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا**﴾[المزمل:٦]، وطئًا: التواطؤ اتفاقًا، اتفاق اللسان مع القلب، أنت تقرأ والسمع يأخذ والقلب يستوعب، فتتفق هذه الأشياء اللسان، وأحيانًا النظر إلى المصحف واللسان والسمع والقلب، والقلب يعي ﴿**أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾[المزمل:٦]، أي: أصدقُ وأوضح قولًا، أي: قراءتك تكون قراءةً قيمة مستقيمة.

حتى قال ابن عباس في قوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، قال: (هو الأجدر بفهم القرآن وفقهه)، أي: إذا أنت كررت أو إذا أنت قرأت في جو مناسب وهادئ؛ فهذا يكون هو من أقوى الأسباب، وصلاة الليل وقراءته في السكون والظلمة؛ هذا من أقوى أسباب الفهم والتدبُر، الهدوء والانقطاع عن الناس، والجلوس في مكان خالي، وعدم تشويش الذهن، وترك الهموم والغموم خلفك؛ هذه تُعتبَر من أقوى أسباب التدبُر.

❁ **أيضًا** الإنصات، الإنصات عند قراءة القرآن، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف:٢٠٤]، أي: ترحمون لعلكم يرحمكم الله بأن تفهموا، وأن تعقلوا، وأنْ تتدبروا، وأنْ تتعظوا بمواعظه، وأنْ تعملوا بما فيهِ من عمل بامتثال أوامرهِ والانتهاء عند نواهيه، فهذا معنى ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، القرآن أي: استماعهُ والإنصات إليه سبب لحصول التدبُر والاهتداء بهديه.

إذًا من الأسباب: الإنصات.

❁ **كذلك من الأسباب:** تكرار الآيات، ولذلك قال بعض السلف: (الآية مثل التمرة إذا أكثرت مضغها ورددتها في فمك، وأعدت مضغها كثيرًا؛ شَعُرت بحلاوة طعمها، وإذا أكلتها مباشرةً لم تشعر بذلك).

فكذلك أيضًا يقرأ القرآن بسرعة يختلف عمَن يقرأ القرآن، ويعيد ويتأمل ويتفكَّر ويردد ويردد، ولذلك النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ردد آية إلى الصبح، وكثير من السلف كانوا يرددون ويعيدون، ويعيد في الآية يعيد؛ حتى يستوعب ويتأمل معانيها.

❁ **كذلك من الأسباب المعينة على تدبُر القرآن:** حسن أو فهم ما يُعرَف عند العلماء بالوقف والابتداء، علم الوقف والابتداء من أهم أسباب التدبُر، إذا أنت لم تعرف متى تقف، ومتى تصل، ومتى تبتدئ؛ فستوصل الآيات بعضها ببعض وتخلط المعاني، فإذا كنت تقف على بعض الآيات، وتفهم معانيها، وتعرف متى تقف، وتعرف متى تقرأ، ومتى تبتدئ، إذا لم تعرف هذه الأشياء سيفوتك التدبُر.

✍**على سبيل المثال:** أنا أعطيك مثال واحد فقط وإلا الوقف والابتداء أمثلته كثيرة، لكن مثلًا قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[التكاثر:١-٥]، هنا وقف يجب عليك أنْ تقف؛ لأنك إذا وصلت اختل المعنى.

لو قلت: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[التكاثر:٥-٦]؛ أي: لا ترى الجحيم إلا إذا علمت علم اليقين، وهذا خطأ؛ لأن قوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ جواب محذوف، دلّ عليه ما سبق، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لما ألهتكم التكاثر، ثم جاءت جملة جديدة ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ واللام موطئة للقسم التقدير والله لتروُن الجحيم، لتروُن النار.

فلا بُد لمعرفة علم الوقف ابتداء، أي: على الأقل عند الآيات الَّتِي فيها إشكال.

❁ **أيضًا هناك أسباب أكثرها مرت معنا:** مثل ترديد الآيات ونحو استيعاب القلب لها تدبر.

❁ **من أيضًا من الأسباب: معرفة أساليب القرآن،** أي: طريقة القرآن أسلوبه، إذا أنت لم تعرف ولم تتمرن على طريقة القرآن وعادة القرآن وأسلوبه، مثلًا: عندما تُختَم الآيات بأسماء الله الحسنى، هذا من أجدر الأسباب الَّتِي تعينك على التدبُر والتفهُم، أي: لماذا خُتمَت بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فهذه أساليب قرآنية ينبغي لنا أنْ نفهمها، فإذا لم تفهم هذه الأشياء سيفوتك كثير من التدبُر.

❁ **أساليب القرآن كثيرة وبابها واسع، لكن مثلًا من أساليبه:** التذكير بالأوامر وعظمة الآمر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، التشويق للأجور، تجد كثير من الآيات فيها يذكر الله فيها الأجور المرتبة على امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي، وفتح باب التوبة، تجد مثلًا الأجور المترتبة على التوبة، على العودة إلى الله وهكذا، تجد أشياء كثيرة تعينك على التدبُر.

❁ **كذلك -مثلما ذكرنا- من أسباب التدبُر:** مثلًا التفكُر في حياة السلف، كيف كانوا يتدبرون، نقرأ في حياتِهم، نتأمل كيف ننظر في حياة النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكيف عاش مع القرآن، وكيف تدبر القرآن، حياة الصحابة -رَضِيَّ اللهُ عَنْهُم-، حياة السلف الَّذِين استوعبوا المعاني وتدبروا القرآن، وبكوا عنّا وخشيت قلوبهم، وذرفت عيونهم عند القرآن، هذه كلها إذا أنت قرأت في سيرهم زادك ذلك معرفةً في طريق التدبر، كيف كان منهجهم، كيف كانوا يقرؤون القرآن، ما طريقتهم، هذا كله يعين على التدبُر.

في الحقيقة -أيها الإخوة والأخوات- موضوع التدبُر موضوع واسع كبير، أشرنا إلى شيءٍ من الأمور الَّتِي تعين على التدبر والأسباب، فهمنا ما هو التدبر، فهمنا متى تأتي مرحلة التدبُر، ما هي الأسباب الَّتِي تعين على التدبُر، هذا بحمد الله مرّ معنا وفهمنها، وكما ذكرت لكم موضوع التدبُر موضوع واسع.

يبقى عندنا في الحقيقة التطبيقات: كيف تتدبَر القرآن؟

الحقيقة نحتاج إلى أنْ نأخذ مواضع من الآيات القرآنية، يحتاج منّا أنْ نأخذ سور أو بعض السور الَّتِي نطبقها؛ حتى نعرف كيف نتدبر القرآن، كيف نبكي مع القرآن، كيف نفهم هذه الآيات، كيف نستوعب هذه المعاني، القرآن بحرٌ لا ساحل له، ولا تمتضي عجائبه، ولا يمل منه القارئ، ولا يشبع منه العلماء، وكنوزه كثيرة، فتحتاج منّا استعانة بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وأنا أعيد مرةً أخرى وأقول: من أقوى الأسباب أيضًا: أنْ نستعين بالله، وعليك بالدعاء وعليكِ بالدعاء، الدعاء من أقوى أسباب الإعانة، فتسأل الله وأيضًا تدعو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أنْ يعينك على فهم كتابه، وأنْ يفتح الله عليك في تدبر كتابه إذا دعوت ربك؛ فإنّ هذا من أقوى الأسباب.

لعلنا نختم هذا اللقاء بما قدمناه تلخيصًا، وأعيد مرةً أخرى، **الأسباب الَّتِي ذكرناها،** وأنْ نفهم منهج السلف في تدبر القرآن، نعرف معنى التدبُر، نعرف متى نصل إلى درجة التدبُر، متى نتدبَر القرآن، متى نصل إلى درجة التدبُر، كل هذا مر معنا.

نف عند هذا القدر، إنْ شاء الله لنا لقاءات أخرى في تطبيقات الآيات القرآنية في تدبر القرآن، إذا عرفنا الطريقة النظرية الآن يبقى عندنا الطريقة التطبيقية وهي أهم، متى نطبق؟ متى نتأمل؟ متى نتدبر؟ هذا الَّذِي نحتاج إليه، لعله إنْ شاء الله يكون هناك فرصة ولقاءات مناسبة تكون تطبيقات لتدبُر القرآن الكريم.

نسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أنْ يبارك لنا ولكم في أوقاتنا، وأنْ ينفعنا بالقرآن، وأنْ يجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وذهاب غمومنا وهمومنا، وأنْ يجعله حُجةً لنا لا علينا، وأنْ يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الَّذِين هم أهل الله وخاصته، ونشكر الحقيقة القائمين على هذه القناة، ونسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بمنِه وكرمهِ أنْ يجعل أجر هذه القناة لصاحبة القناة، وأنْ يرفع مكانتها في العليين، وأنْ يتجاوز عنا وعنها، وأنْ أيضًا يوفق مَن يقوم بهذه الخدمة في هذه الخدمة وفي هذه القناة المباركة، وأنْ يوفق الجميع لما يحب ويرضى، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.